المحاضرة الثامنة:عصر الولاة في بلاد المغرب وظهور ثورات الخوارج
(122-148ه/ 740-765م).

1- عصر الولاة ببلاد المغرب وانعكاساته.
2- سياسة الولاة في بلاد المغرب اتجاه البربر بين اللّين والشدة.
3- أسباب ظهور ثورات الخوارج:
4- أهم ثورات الخوارج:
5- نتائجها:

2-عصر الولاة ببلاد المغرب وانعكاساته.

تولى الولاة على المغرب بعد موسى بن نُصير،ولم يكن الخلفاء يعينون ولاة محليين في كل أنحاء البلاد حتى يسهل على الوالي العام ضبط الأمور بل تارة كانوا يعينون على المغرب والأندلس والياً واحداً، وكان من أحسن ولاة بني أمية في بلاد المغرب محمد بن يزيد القرشي (100-97هـ) الذي عينه الخليفة سليمان بن عبد الملك، وأنعمت البلاد في عهده بالاستقرار والأمن، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي

المهاجر الذي عينه الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة (100- 102هـ) وكانت سياسته تهدف إلى نشر الإسلام بالإقناع والدعوة السلمية[1].

ثم تولى ولاية المغرب يزيد بن أبي مُسلم وكانت توليته على يد الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة 102هـ وأتبع سياسة الشدة مع البربر فقتلوه سنة 102هـ[2] ،ثم استعمل بعده بشر بن صفوان (103-109هـ) وقد استشهد بحملاته العسكرية على جزر سردانية وصقلية وكورسيكا[3]،وبعد وفاة بشر سنة 109هـ عين عبيدة بن عبد الرحمن السلمي والياً على المغرب سنة 110هـ وكان كفوءاً في إدارته شديداً في سياسته وجهز عدة حملات بحرية إلى جزيرة صقلية حققت معظمها أهدافها ثم عُفي من منصبه سنة 115هـ[4] .

وفي سنة 116هـ عُين عبد الله بن الحبحاب على المغرب وكان معروفاً بمؤهلاته الإدارية حيث كان والياً على مصر وثار عليه في عهده ميسرة المرغري الذي قُتل في عهد هذا الوالي،أستشهد في معركة الأشراف ضد قوات البربر القائد خالد بن حبيب الفهري، وبعد أن تفاقمت الأحداث في بلاد المغرب أعفي عبد الله بن الحبحاب من ولاية المغرب وعُين مكانه كلثوم ابن عياض القريشي وقد شن البربر في عهده غارات كثيرة على السلطة المركزية حتى عُين الخليفة هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان الذي قضى على ثورات البربر وقام بإصلاحات إدارية عديدة وفي عهد ولايته تمكن عبد الرحمن بن حبيب من السيطرة على القيروان وأصبح أميراً عليها مستقلاً عن السلطة المركزية التي كانت تقترب من نهايتها[5].

واستمرت الفوضى في بلاد المغرب من الخوارج الصفرية والإباضية والبربر إلى عهد الخليفة أبو جعفر المنصور الذي أرسل محمد بن الأشعث لإخضاعها لكنه لم يستطع ذلك حيث أعلنت بعض الأسر قيام إمارات في بلاد المغرب منها إمارة الرستميين في تاهرت وهي على المذهب الخارجي والإمارة المدرارية الصفرية في سجلماسة، وهذا ما شجع بعض المعارضين للخلافة العباسية من قيام دويلات عديدة في البلاد مثل الأدارسة في المغرب الأقصى ومن ثم الفاطميين في بلاد إفريقية وتونس وسنقتصر الحديث عن أهم هذه الدويلات التي قامت في بلاد المغرب.

---

1 - ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص47؛ومحمد سعيد ومحمد بشير العامري:تاريخ المغرب والأندلس، ص:108.

2 - ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، ص:288.

3 - ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص:48.

4- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص:293.

5 - محمد سعيد:المرجع السابق، ص:113.

له بن أبي المهاجر الذي عينه الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة (100- 102هـ) وكانت سياسته تهدف إلى نشر الإسلام بالإقناع والدعوة السلمية[1].

ثم تولى ولاية المغرب يزيد بن أبي مُسلم وكانت توليته على يد الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة 102هـ وأتبع سياسة الشدة مع البربر فقتلوه سنة 102هـ[2] ،ثم استعمل بعده بشر بن صفوان (103-109هـ) وقد استشهد بحملاته العسكرية على جزر سردانية وصقلية وكورسيكا[3]،وبعد وفاة بشر سنة 109هـ عين عبيدة بن عبد الرحمن السلمي والياً على المغرب سنة 110هـ وكان كفوءاً في إدارته شديداً في سياسته وجهز عدة حملات بحرية إلى جزيرة صقلية حققت معظمها أهدافها ثم عُفي من منصبه سنة 115هـ[4] .

وفي سنة 116هـ عُين عبد الله بن الحبحاب على المغرب وكان معروفاً بمؤهلاته الإدارية حيث كان والياً على مصر وثار عليه في عهده ميسرة المرغري الذي قُتل في عهد هذا الوالي،أستشهد في معركة الأشراف ضد قوات البربر القائد خالد بن حبيب الفهري، وبعد أن تفاقمت الأحداث في بلاد المغرب أعفي عبد الله بن الحبحاب من ولاية المغرب وعُين مكانه كلثوم ابن عياض القريشي وقد شن البربر في عهده غارات كثيرة على السلطة المركزية حتى عُين الخليفة هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان الذي قضى على ثورات البربر وقام بإصلاحات إدارية عديدة وفي عهد ولايته تمكن عبد الرحمن بن حبيب من السيطرة على القيروان وأصبح أميراً عليها مستقلاً عن السلطة المركزية التي كانت تقترب من نهايتها[5].

واستمرت الفوضى في بلاد المغرب من الخوارج الصفرية والإباضية والبربر إلى عهد الخليفة أبو جعفر المنصور الذي أرسل محمد بن الأشعث لإخضاعها لكنه لم يستطع ذلك حيث أعلنت بعض الأسر قيام إمارات في بلاد المغرب منها إمارة الرستميين في تاهرت وهي على المذهب الخارجي والإمارة المدرارية الصفرية في سجلماسة، وهذا ما شجع بعض المعارضين للخلافة العباسية من قيام دويلات عديدة في البلاد مثل الأدارسة في المغرب الأقصى ومن ثم الفاطميين في بلاد إفريقية وتونس وسنقتصر الحديث عن أهم هذه الدويلات التي قامت في بلاد المغرب.

3-سياسة الولاة في بلاد المغرب اتجاه البربر بين اللّين والشدة:

1 - ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص47؛ومحمد سعيد ومحمد بشير العامري:تاريخ المغرب والأندلس، ص:108.
2 - ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، ص:288.
3 - ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص:48.
4- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص:293.
5 - محمد سعيد:المرجع السابق، ص:113.

اتسم عصر الولاة بتذبذب العلاقة بين الخلافة والولاة،وموقف الولاة من سكان البلاد،وعم استقرار الأوضاع السياسية،حيث "ثار سكان المغرب من البربر"،وانفصلوا عن الخلافة فيما يعرف بعصر الدويلات المستقلة[1].

أمّا بالنسبة لسياسة الولاة المطبقة في بلاد المغرب،فقد عرفت تباينا بين الشدة واللين،حيث تميزّ ولاة بلاد المغرب على عهد خلافة "عمر بن عبد العزيز" باللّين مع سكان بلاد المغرب،ولم يقر الخليفة "يزيد بن عبد الملك" سياسة اللين التي انتهجها الخليفة السابق"عمر بن عبد العزيز"،فاستوجب تعيين "يزيد بن مسلم"،الذي اتبع سياسة الشدة والحزم تجاه أهل المغرب،ممّا أثار حفيظة البربر،وثاروا ضد سياسة الولاة في فترات مختلفة،يمكن اعتبارها النواة الرئيسية لدخول بلاد المغرب في عهد "ثورات البربر"[2].

4-أسباب ظهور ثورات الخوارج:

كانت النزاعات الطائفية "بالمشرق" على أشدها طوال العصر "الأموي"،وكان "للأمويين" أعداء لا يكفون الخصومات، ولا يكف "الأمويون" عن تعقبهم، فكثر "خروج" هؤلاء من البلاد. وكان "المغرب" من النواحي التي ألتمس "الخوارج" للأمان فيها، لاتساعها وتشعب مسالكها وكثرة قبائلها. وكان الكثير من قبائل "المغرب" ينطوي على السخط على العمال لما يصيبها من الأذى على أيديهم، فكانت ترحب بهؤلاء اللاجئين[3].

لقد وجد "البربر" سند لهم ضد السلطة "العربية" وهو الأخذ بدعوة "الخوارج" التي ينص دستورها على عدم اشتراط "القرشية" في الخلافة، فانتحلوا مذهب "الصفرية" و "الإباضية"، وبقوا ينتظرون الفرصة لذلك حتى سنحت لهم على عهد أمير "إفريقية" "عبد الله بن الحبحاب" الذي كان وقتئذ منشغلا بتجهيز جيش الفتح إلى "صقلية"[4].

لم تذكر المراجع والمصادر التاريخية المتوفرة شيئا كثيرا عن سيرة ميسرة المدغري ، وكل ما جاء عنه أنه زعيم أمازيغي، بتري ، تختلف المصادر في تسميته، فيأتي بالمدغري، والمطغري، أحيانا والمدغوري أحيانا أخرى، ويذكر عبد الرحمن الجيلالي بأنه مدغري، من قبيلة المداغر الذين هم إزاء ندرومة ، أما ابن خلدون فيذكره باسم المطغري ، ويؤكد بأنه كان زعيما لقبيلة مطغرة، وفي ذلك تأييد لقول ابن الخطيب الذي يقول عنه بأنه كان أميرا للغرب ،يوصف بأوصاف مختلفة :

1 - عبد العزيز شهبي:المرجع السابق،ص:26.
2 - المرجع نفسه،ص:27.
3 - عبد العزيز شهبي:المرجع السابق،ص:27.
4 - ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص:71.

السقاء ، الحقير ،الفقير، في حين يصفه مؤرخو الخوارج وشيعتهم بالخفير تنزيها له عن وصف الحقارة والسقي، ويذكرون أنه كان وجيها من وجهاء قومه، تقيا عالما ، ووصفه ابن خلدون بالحسن وبأنه شيخ الصفرية[1].

اختلف المؤرخون في أمر خلافته، فهناك من يذكر بأنه ادعى الخلافة ، وبايع لنفسه ، وهناك من يذكر بان الأمازيغ بايعوه عليها ، في حين أن ابن عبد الحكم جمع بين الرأيين، فيذكر بأن ميسرة ادعى الخلافة وتسمى بها ، ثم بويع عليها ،وأرى بأن ميسرة لا يمكن له تنصيب نفسه خليفة بوحي من إرادته ، ثم يفرض على الناس مبايعته، لأنه لا يملك من القوة والنفوذ ما يسمح له بتحقيق ذلك.

ولي عبيد الله بن الحبحاب ولاية المغرب والأندلس سنة 116 هجرية، استخلف ابنه القاسم على مصر واستعمل ابنه اسماعيل على السوس وعمر بن عبد الله المرادي على طنجة وما جاورها ، كما عين عقبة بن الحجاج على الأندلس، وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة غازيا لبلاد السوس ، وأرض السودان ، وبعد رجوعه سيره غازيا إلى جزيرة سردينيا وصقلية، في عهد ولايته ثارت قبائل الأمازيغ في المغرب الأقصى سنة (122 هجرية) بزعامة ميسرة لأسباب يمكن حصرها في ثلاثة هي المظالم التي ارتكبها ابن الحبحاب.

4- أهم ثورات الخوارج:

ثار "البربر" لتكوين دولة لهم مستقلة عن الخلافة المركزية، فنهضوا في نحو الأربعين ألفا (40.000) من "الصفرية" وخمسة وعشرين ألفا (25.000) من "الإباضية"، ملتفين حول رئيسهم "ميسرة المطغري الصفري" "بالمغرب الأقصى"، واحتلوا "طنجة"، وبايعوا "ميسرة" خليفة سنة (122ه/740م)، ثم انقلبوا عليه وقتلوه.

تولى الثوار "خالد بن حميد الزناتي"، الذي زحف بهم إلى وادي "شلف".

وجاءت عساكر الأمير "ابن الحبحاب" لرد هجمات "البربر"، فانهزم الجند "العربي"، وقتل قائده "خالد بن حبيب"، وهي واقعة "الأشراف" سنة (123ه/741م) [2].

وفي سنة (123ه/741م) تذمر "البربر" من تعسف الأمير "كلثوم بن عياض" الذي كان يلزمهم بأداء الجزئية، فاندلعت "بإفريقية" حينئذ الثورة من كل جهة[3].

---

1 - عبد العزيز شهبي:المرجع السابق،ص:27.

2 - ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،ج6،ص:111.

3 - الرقيق القيرواني:تاريخ افريقية والمغرب،ص:142.

حتى جاء "حنظلة بن صفوان" أميرا على "إفريقية"، سنة (124ه/742م)، فحارب "الخوارج"، وشردهم في مقتلة عظيمة بلغ عدد قتلاها 18.0000 قتيل، وانتشرت الاضطرابات فعمت "المغرب" كله[1].

ويومئذ ظهر "الفهريون"، أحفاد "عقبة بن نافع"، في إمارة "إفريقية"، حيث غزا "عبد الرحمن بن حبيب الفهري" "تلمسان"، سنة (135ه/752م)، وظفر "بالبربر" وذلل "المغرب".

ولما استبد هؤلاء "الفهريون" "إفريقية" فانكشف ضعفهم، وظهر عجزهم أمام "الخوارج" الذين تغطرسوا، ودخلوا "القيروان" بقيادة "عاصم بن جميل الورفجومي"، سنة (140ه/757م)، و "عبد الملك بن أبي الجعد"، (140ه/758م) "الصفريين"، ثم "أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح" (141ه/759م)، و"عبد الرحمان بن رستم الفارسي" (143ه/760م) "الإباضيين"[2].

إلى أن جهز الخليفة "أبو جعفر المنصور" جيشا قوامه خمسين ألف (50.000) جندي، تحت إمرة "محمد بن الأشعث" أمير "مصر" سنة (144ه/761م)، فقضى أولا على ريح الثوار "بطرابلس" مع قائدهم "أبي الخطاب الإباضي".

وظن "ابن الأشعث" أنه قد قضى على الفتنة، ولكن سرعان ما علم أن هناك ستة عشر ألف (16.000) ثائر يقودهم "أبو هريرة الزناتي"، فقاتلهم، وتغلب عليهم، ودخل "القيروان".

وما كاد "ابن الأشعث" يستقر، حتى نهض نحو عشرين ألفا (20.000) من الثوار، تحت قيادة "هاشم بن الشاحج"، فهزموا جند الأمير و تفرقوا في البلاد، ومنهم من ذهب إلى "تهودة" "بالزاب"، وهنالك انهزموا.

وما كاد الأمير "محمد بن الأشعث" يستريح، حتى فاجأه ثائر آخر من الجند يدعى "عيسى بن عجلان الخراساني"، ومعه طائفة من القادة، فشنوا حربا أعجزت "ابن الأشعث" عن المقاومة[3].

وبسبب كثرة الوقائع والفتن، وهلاك العساكر، خرج "ابن الأشعث" من "المغرب" عائدا إلى ولايته "بمصر"، وكان عمالة "الزاب" يومئذ "الأغلب بن سالم التميمي"، فعينه الخليفة أميرا على "إفريقية" سنة (148ه/765م).

5-نتائجها:

1 - ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص:72.
2 - محمود إسماعيل عبد الرزاق:الخوارج في بلاد المغرب،دار الثقافة،الدار البيضاء،ط2 ،1985،ص:67.
3 - ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،ج6،ص:112.

إن اعتناق "البربر" للمذهب "الخارجي"، كان محاولة للذهاب إلى الثورة ضد ممثل الخلافة الإسلامية، إذا كان ظالما، وسلوكه منحرفا عن مبادئ الدين، وبالتالي الرجوع بالإسلام إلى بساطته، والمساواة والحرية والتسامح[1].

لذلك فشلت الخلافة "العباسية" في القضاء على الحركات الانفصالية، بعد أن اشتد خطرها وكثر أنصارها مما أدى إلى قيام إمارات و دول منفصلة عن السلطة المركزية[2].

1 - ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص:73.

2 - محمود إسماعيل عبد الرزاق:الخوارج في بلاد المغرب،ص:111.